
البكاء من
خشية الله
عبد الهادي بن حسن وهبي



المُقدِّمَةُ

إِنَّ الحَمدَ لِلَّهِ نَحمَدُهُ وَنَستَعِينُهُ وَنَستَغفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِن شُرُورِ أَنفُسِنَا وَمِن سَيِّئَاتِ أَعمَالِنَا، مَن يَهدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَن يُضلِل فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَن لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعدُ: فَإِنَّ أَصدَقَ الحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَأَحسَنَ الهَديِ هَديُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحدَثَةٍ بِدعَةٌ، وَكُلَّ بِدعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

وَبَعدُ: فَقَدِ استَوحَشَ النَّاسُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَقَسَتِ القُلُوبُ، فَمَنَعتِ العُيُونَ دُمُوعَهَا وَبُكَاءَهَا، وَحُرِمَتِ القُلُوبُ حَلَاوَةَ الإِيمَانِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ، وَقَلِيلٌ مَا هُم. وَهَذَا مُؤذِنٌ بِخَلَلٍ خَطِيرٍ، وَمُنْذِرٌ بِشَرٍّ وَبِيلٍ.

ذَكَرَ الحَافِظُ ابنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي تَرجَمَةِ أَبِي سُلَيمَانَ الدَّارَانِيِّ فِي البِدَايَةِ وَالنِّهَايَةِ[1] أَنَّهُ قَالَ: لِكُلِّ شَيءٍ عَلَمٌ، وَعَلَمُ الخِذلَانِ تَركُ البُكَاءِ مِن خَشيَةِ اللَّهِ.

فَإِذَا خَذَلَ اللَّهُ العَبدَ سَلَبَهُ هَذِهِ الخَصلَةَ المُبَارَكَةَ، وَإِذَا خَذَلَهُ قَسَا قَلبُهُ، وَمَعلُومٌ أَنَّ القَلبَ إِذَا قَسَا قَحَطَتِ العَينُ وَجَفَّ الدَّمعُ فِيهَا، فَلَا تَنهَمِرُ لِذِكرٍ وَلَا لِخَشيَةٍ، وَلَا لِإِنَابَةٍ وَتَضَرُّعٍ. وَمَا

(١) (١٠/ ٢٦٧) [طبعة دار أم القرى - القاهرة].

كَانَ كذَلِكَ، فَهُوَ مَخذُولٌ.

الحَدِيثُ عَنِ البُكَاءِ مِن خَشيَةِ اللَّهِ، حَدِيثٌ عَزِيزٌ وَغَرِيبٌ، عَزِيزٌ أَوشَكَ أَن لَا يُوجَدَ، وَغَرِيبٌ كَادَ أَنْ لَا يُعرَفَ. فَلَعَلَّ العَينَ أَن تَدمَعَ، وَلَعَلَّ القَلبَ أَن يَرِقَّ وَيَخشَعَ. فَهُنَاكَ تَتَنَزَّلُ الرَّحمَاتُ، وَتُكتَبُ الحَسَنَاتُ، وَتُرفَعُ الدَّرَجَاتُ!

الرَّاجِي عَفوَ رَبِّهِ

عَبدُ الهَادِي بنُ حَسَنٍ وَهبِي (١)

❊ ❊ ❊

(١) بيروت - لبنان. ص.ب ٦٠٩٣/ ١٣ شوران.
هاتف ٦٢٦٧٨٧/ ٠٣ - فاكس ٧٩١٠٥١/ ٠١.
موقع الإنترنت: www.asseraj.com.
البريد الإلكتروني: asseraj@asseraj.net.



فَضلُ البُكَاءِ من خَشيَةِ اللَّهِ

أ- البُكَاءُ من خَشيَةِ اللَّهِ سَبَبٌ لِلاستِظلَالِ بِظِلِّ العَرشِ:

عَـن أَبِـي هُـرَيـرَةَ رضي الله عنه قَـالَ: قَـالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «سَبعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» - وَذَكَرَ مِنْ بَينِهِم -: «وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَينَاهُ»(١).

وَذِكرُ اللَّهِ خَالِيًا يَكُونُ أَقرَبَ لِلخُشُوعِ، وَأَجلَبَ لِلدُّمُوعِ، وَأَبعَدَ عَنِ الرِّيَاءِ، وَأَصفَى

(١) رواه البخاري (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

لِلنَّفسِ، وَلَا يَكُونُ فِيهِ التِفَاتٌ إِلَّا إِلَى اللَّهِ ﷻ، وَيَكُونُ البُكَاءُ حِينَئِذٍ مِنْ خَشيَةِ اللَّهِ وَخَوفِهِ.

ذَلِكَ بِأَنَّ الخَلْوَةَ مَدعَاةٌ إِلَى قَسوَةِ القَلبِ، وَالجُرأَةِ عَلَى المَعصِيَةِ، فَإِذَا مَا جَاهَدَ الإِنسَانُ نَفسَهُ فِيهَا، وَاستَشعَرَ عَظَمَةَ اللَّهِ فَاضَتْ عَينَاهُ، فَاستَحَقَّ أَن يَكُونَ تَحتَ ظِلِّ عَرشِ الرَّحمَنِ يَومَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ.

«**وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَينَاهُ**»: هَذَا الذَّاكِرُ مُستَظِلٌّ بِظِلِّ العَرشِ يَومَ الحَرِّ الأَكبَرِ، وَالنَّاسُ فِي حَرِّ الشَّمسِ قَد صَهَرَتْهُم فِي المَوقِفِ.

فَهَلَّا وَقَفتَ يَومًا لِوَحدِكَ وَخَلَوتَ بِاللَّهِ، لَا يَعلَمُ بِكَ إِلَّا اللَّهُ، فَتَذَكَّرتَ عَظَمَةَ اللَّهِ وَقُدرَتَهُ وَمِنَّتَهُ عَلَيْكَ وَنِعمَتَهُ، وَتَذَكَّرْتَ تَقصِيرَكَ وَكَثرَةَ ذُنُوبِكَ، فَخَفَقَ القَلبُ وَاقشَعَرَّ البَدَنُ وَسَالَتِ الدَّمْعَةُ عَلَى

الخَدَّينِ، فَرُبَّمَا كُنتَ مِنَ السَّبعَةِ الَّذِينَ يظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ.

هَيَّا بِنَا إِلَى البُكَاءِ وَالدُّمُوعِ، لَعَلَّنَا نَستَظِلُّ بِظِلِّ العَرشِ يومَ القِيَامَةِ: ذَلِكَ اليَومُ الَّذِي يَعرَقُ النَّاسُ فِيهِ إِلَى آذَانِهِم!

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَعرَقُ النَّاسُ يَومَ القِيَامَةِ حَتَّى يَذهَبَ عَرَقُهُم فِي الأَرضِ سَبعِينَ ذِرَاعًا، وَيُلجِمُهُم حَتَّى يَبْلُغَ آذَانَهُم**»[(١)].

وَعَنِ المِقدَادِ بنِ الأَسوَدِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**فَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدرِ أَعمَالِهِم فِي العَرَقِ. فَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعبَيهِ، وَمِنْهُم مَنْ يَكُونُ إِلَى رُكبَتَيهِ، وَمِنهُم مَنْ يَكُونُ إِلَى**

(١) رواه البخاري (٦٥٣٢)، ومسلم (٢٨٦٣).

حقوَيهِ، وَمِنهُم مَنْ يُلجِمُهُ العَرَقُ إِلجَامًا»[١].

وَمَنْ تَأَمَّلَ الحَالَةَ المَذكُورَةَ، عَرَفَ عِظَمَ الهَولِ فِيهَا.

وَإِنَّ الإِنسَانَ فِي فَصلِ الصَّيفِ يَعمَلُ جَاهِدًا عَلَى أَن يُذهِبَ الحَرَّ بِوَسَائِلِ التَّبرِيدِ المُختَلِفَةِ. فَكَيفَ لَا يَعمَلُ عَلَى أَنْ يَقِيَ نَفسَهُ مِنْ ذَلِكَ الحَرِّ الرَّهِيبِ وَالعَرَقِ الكَثِيرِ، الَّذِي يَبْلُغُ مِنَ الإِنسَانِ عَلَى قَدْرِ عَمَلِهِ؟! وَكَيفَ لَا يُفَكِّرُ فِي الدُّنيَا لِهَذَا اليَومِ العَظِيمِ، وَلِلظِّلِّ يَومَ الحَرِّ الشَّدِيدِ؟!

ب- البُكَاءُ مِن خَشيَةِ اللَّه: مِن أَحَبِّ الأَعمَالِ إِلَى اللَّه.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ فِي**

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٤).

سَبِيلِ اللَّهِ. وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثَرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ»(١).

دُمُوعُ الخَائِفِينَ أَحَبُّ الدُّمُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. فَهِيَ تُطْفِىءُ جَمرَ الذُّنُوبِ، وَتُحيِي رُوحَ القُلُوبِ، وَتُوصِلُكَ إِلَى المَطلُوبِ. فَابْكِ فِي خَلَوَاتِكَ عَلَى ذُنُوبِكَ وَآثَامِكَ.

ج- البُكَاءُ مِن خَشيَةِ اللَّهِ سَبَبٌ للاستِظلَالِ بِظِلِّ شَجَرةِ طُوبَى:

عَنْ ثَوبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «طُوبَى لِمَن مَلَكَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيتُهُ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ»(٢).

---

(١) رواه الترمذي (١٦٦٩)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٤٢) [طبعة مكتبة المعارف].

(٢) رواه الطبراني في «الأوسط» (٢٣٤٠)، و«الصغير» (٢١٢). وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٤٠).

فَطُوبى لِمَنْ نَاحَ يَومًا عَلَى تَفرِيطِهِ، وَبَكَى خَوفًا لِمَا قَد جَنَى مِن خَطَايَاهُ. فَيَقضِي عُمُرَهُ مُستَغفِرًا بَاكِيًا؛ بِدَمعٍ سَاكِبٍ هَفَوَاتِهِ؛ نَادِمًا عَلَى مَا كَانَ مِنْ عِصيَانِهِ؛ يَرجُو رَحمَةَ رَبِّهِ، وَيَخشَى عَذَابَهُ، مُسْتَكْثِرًا مِنَ الحَسَنَاتِ، لِيُكَفِّرَ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، فَيَفُوزَ بِرَحمَةِ اللَّهِ وَجَنَّتِهِ وَرِضوَانِهِ.

فَطُوبَى لَهُ بِالثَّوَابِ الجَزِيلِ، وَالفَوزِ الكَبِيرِ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، وَالعَيشِ السَّلِيمِ، وَمِنْ جُملَةِ ذَلِكَ: شَجَرَةُ طُوبَى، كَمَا جَاءَ عَن أَبِي سَعِيدٍ الخُدرِيِّ رضي الله عنه: عَن رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَنَّهُ قَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا طُوبَى؟ قَالَ: «**شَجَرَةٌ فِي الجَنَّةِ مَسِيرَةَ مِئَةِ سَنَةٍ، ثِيَابُ أَهلِ الجَنَّةِ تَخرُجُ مِنْ أَكمَامِهَا**»[١].

---

(١) رواه ابن حبان (٧٤١٣)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «صحيح موارد الظمآن» (٢٢٢٣).

هَل تَستَوِي عَينٌ بَكَتْ مِن خَشيَةِ اللَّهِ، عَلَى الذُّنُوبِ المَاضِيَةِ، وَعَينٌ بَاتَتْ سَاهِرَةً عَلَى الأَفلَامِ الهَابِطَةِ؟ كَلَّا وَاللَّهِ! لَا يَستَوِيَانِ؛ كَمَا لَا يَستَوِي اللَّيلُ وَالنَّهَارُ، وَالضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ، وَالمَاءُ وَالنَّارُ.

هَنِيئًا لِمَن أَسْعَفَتْهُ الدَّمَعَاتُ، قَبلَ يَومِ الحَسَرَاتِ، وَهَنِيئًا لِمَن تَعَجَّلَ البُكَاءَ، قَبلَ حَسَرَاتِ يَومِ اللِّقَاءِ.

د- البُكَاءُ مِن خَشيَةِ اللَّهِ سَبَبٌ لِلنَّجَاةِ:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا النَّجَاةُ؟ قَالَ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[1].

كَانَ هَمُّ القَومِ طَلَبَ النَّجَاةِ. فَلْيَكُنْ فَهمُنَا

(١) رواه الترمذي (٢٤٠٦)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٦٧).

لِلنَّجَاةِ: أَن نُزَحزَحَ عَنِ النَّارِ، وَنُدخَلَ الجَنَّةَ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

لَيسَ السَّعِيدُ الَّذِي دُنيَاهُ تُسْعِدُهُ

إِنَّ السَّعِيدَ الَّذِي يَنجُو مِنَ النَّارِ

فَهَيَّا يَا صَاحِبَ الخَطَايَا، أَيـنَ الدُّمُوعُ الجَارِيَةُ؟! وَيَا أَسِيرَ المَعَاصِي ابكِ مِنَ الذُّنُوبِ المَاضِيَةِ؟!

وَلَقَد أَحسَنَ مَن قَالَ:

مَنْ كَانَ يَخشَى اللَّهَ جَلَّ جَلَالُهُ

فَليُكثِرِ العَبَرَاتِ فِي الخَلَوَاتِ

فَلَعَلَّهُ بَعدَ التَّذَكُّرِ وَالبُكَا

بُدِّلَتْ لَهُ العَبَرَاتُ بِالحَسَنَاتِ

وَتُخَفَّفُ الأَوزَارُ عَن مَنشُورِهِ

يَومَ الحِسَابِ وَمَوقِفِ الحَسَرَاتِ

فَالوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسلِمٍ عَلِمَ مِن نَفسِهِ ذَنبًا: أَن يُكثِرَ البُكَاءَ عَلَيهِ عَسَاهُ يَمحُوهُ مِن كِتَابِهِ مَولَاهُ، وَيَتَفَضَّلُ عَلَيهِ وَيَغفِرُ لَهُ مَا قَد جَنَاهُ، فَهُوَ المَنَّانُ الكَرِيمُ، المُتَفَضِّلُ العَظِيمُ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

فَهَلْ لَكَ أَنْ تَمحُوَ الذُّنُوبَ بِعَبرَةٍ

وَتَبكِي عَلَيهَا حَسرَةً وَتَنَدُّمَا

فَلنَبكِ عَلَى مَا أَذْنَبنَا فِي الشُّهُورِ وَالأَعوَام، وَفِي السَّاعَاتِ وَالأَيَّام، مِنَ الخَطَايَا وَالإِجرَام، وَمَا فَرَّطْنَا فِيهِ مِن أَدَاءِ حُقُوقِ المَلِكِ العَلَّام.

وَمِنْ أَعظَمِ المَصَائِبِ لِلرَّجُلِ: أَن يَعلَمَ مِنْ نَفسِهِ تَقصِيرًا، بَل وَتَفرِيطًا، ثُمَّ لَا يَبكِي وَلَا يُبَالِي.

وَحَالُهُ كَمَا قَالَ القَائِلُ:

وَتَضْحَكُ دَائِبًا ظَهرًا لِبَطْنٍ
وَتَذْكُرُ مَا عَمِلْتَ فَلَا تَتُوبُ

٥-البُكَاءُ من خَشيَةِ اللَّه مِنْ أَسبَابِ التَّحرِيمِ عَلَى النَّارِ.

عَن أَبِي هُرَيرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِن خَشيَةِ اللَّهِ حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرعِ، وَلَا يَجتَمِعُ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ**»[(١)].

قَولُهُ: «**لَا يَلِجُ**» مِنَ الوُلُوجِ، أَي: لَا يَدخُلُ.

قَولُهُ: «**حَتَّى يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرعِ**» هَذَا مِن بَابِ التَّعلِيقِ بِالمُحَالِ، كَقَولِهِ تَعَالَى: ﴿**حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ**﴾ [الأعراف: ٤٠]. أَي: لَنْ يَعُودَ

(١) رواه الترمذي (١٦٣٣)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٢٧).

اللَّبَنُ أَبَدًا فِي الضَّرع - أَيِ الثَّدي -.

هَذَا وَاللَّهِ شَأْنٌ عَظِيمٌ وَخَطبٌ جَسِيمٌ. فَإِذَا جَرَتِ الدُّمُوعُ، وَخَشَعَتِ القُلُوبُ، مُحِيَتِ الذُّنُوبُ، وَبَلَغْتَ المُنَى وَالمَرغُوبَ، وَيَسَّرَ حِسَابَكَ عَلَّامُ الغُيُوبِ.

وعَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**عَينَانِ لَا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَينٌ بَكَت مِن خَشيَةِ اللَّهِ، وَعَينٌ بَاتَت تَحرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**»[١].

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

فَعَينٌ بَكَتْ مِن خَشيَةِ اللَّهِ حُرِّمَتْ
عَلَى النَّارِ فِي نَصِّ الحَدِيثِ المُسَدَّدِ

(١) رواه الترمذي (١٦٣٩)، وصححه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٢٣٠).



السَّبِيلُ إِلَى البُكَاءِ مِن خَشيَةِ اللَّهِ

١- ذِكرُ المَوتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**» يَعْنِي: الْمَوْتَ[1].

وَاللَّذَّاتُ هِيَ الَّتِي تَحُولُ دُونَ دَمعِ العَينِ وَحُزنِ القَلبِ، فَأَكثِرْ مِن ذِكرِ المَوتِ؛ مُستَشعِرًا مَا بَعدَهُ مِنْ أَهوَالٍ، مُتَخَوِّفًا سُوءَ المَصِيرِ؛ لِتَحْظَى بِالبُكَاءِ مِن خَشيَةِ اللَّهِ، وَإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَى

---

(١) رواه الترمذي (٢٣٠٧)، وقال الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٢٦): «حسن صحيح».

مَن يَسَّرَهُ اللَّهُ عَلَيهِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**» قَالَ: فَأَيُّ الْمُؤْمِنِينَ أَكْيَسُ؟ قَالَ: «**أَكْثَرُهُمْ لِلْمَوْتِ ذِكْرًا، وَأَحْسَنُهُمْ لِمَا بَعْدَهُ اسْتِعْدَادًا، أُولَئِكَ الأَكْيَاسُ**»(١).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمَوْتَ فَزَعٌ ...**»(٢).

أَي: يُفزَعُ إِلَيهِ وَمِنهُ، وَهُوَ تَنبِيهٌ عَلَى استِذكَارِهِ، وَإِعظَامِهِ.

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٥٩)، وحسنه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن ابن ماجه» (٣٤٥٤) [طبعة مكتبة المعارف].

(٢) رواه مسلم (٩٦٠). وللحديث مناسبة.

٢- زِيَارَةُ القُبُورِ:

عَنْ أَنَسِ بنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كُنتُ نَهَيتُكُم عَن زِيَارَةِ القُبُورِ، أَلَا فَزُورُوهَا؛ فَإِنَّهَا تُرِقُّ القَلبَ، وَتُدمِعُ العَينَ، وَتُذَكِّرُ الآخِرَةَ، ولَا تَقُولُوا هُجرًا**»[(١)].

فَهَذِهِ مَوعِظَةٌ عَظِيمَةٌ إِذَا عَمِلَ الإِنسَانُ بِهَا، نَفَعَتْهُ وَصَلَحَتْ أَحوَالُهُ. فَهَل مِن سَامِعٍ مُنِيبٍ، وَأَوَّاهٍ حَلِيمٍ، لِلنَّصِيحَةِ يَستَجِيبُ؟!

وَلَعَلَّكَ تُرِيدُ أَنْ تَقُولَ: لَيسَ عِندِي وَقتٌ لِزِيَارَةِ القُبُورِ، فَاعلَمْ بِأَنَّ أَصحَابَ القُبُورِ كَانُوا مِثلَكَ: أَعمَالُهُم كَثِيرَةٌ، وَمَاتُوا وَلَم يُنْهُوا أَشغَالَهُم. فَاعتَبِرْ بِهَذَا الكَلَامِ. أَعَانَكَ اللَّهُ وَحَفِظَكَ، وَرَعَاكَ وَسَدَّدَكَ،

---

(١) أخرجه الحاكم (١/٣٧٦ رقم ١٣٩٣)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح الجامع» (٤٥٨٤).

وَأَيَّدَكَ وَكَفَاكَ، وَهَدَاكَ وَأَحَبَّكَ، وَرَضِيَ عَنكَ.

٣- التَّفَكُّرُ بِأَهْوَالِ مَا بَعْدَ المَوتِ:

النُّصُوصُ فِي هَذَا المَجَالِ كَثِيرَةٌ جِدًّا، سَأَذكُرُ القَلِيلَ عِظَةً وَذِكرَى:

١- عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةٍ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ، فَبَكَى حَتَّى بَلَّ الثَّرَى، ثُمَّ قَالَ: «**يَا إِخْوَانِي! لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا**»[1].

إِنَّ القَلبَ لَيَخشَعُ، وَإِنَّ العَينَ لَتَدمَعُ مِن هَولِ هَذَا المَوقِفِ العَصِيبِ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهُ الثَّرَى، وَهُوَ مَن هُوَ بِأَبِي هُوَ وَأُمِّي! فَمَاذَا يَجِبُ عَلَينَا أَن نَفعَلَ، وَحَالُنَا لَا يَخفَى عَلَى أَحَدٍ؟!

(١) رواه ابن ماجه (**٤١٩٥**)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «صحيح سنن ابن ماجه» (**٣٤٠٢**).

فَـإِذَا كَـانَ رَسُـولُ اللَّـهِ ﷺ يبكِي، وَقَـد أَمَّنَهُ الجَبَّارُ مِنْ أَلِيمِ العَذَابِ، وَوَعَـدَهُ بِالجَنَّةِ وَحُسنِ المَآبِ، فَكَيفَ بِأَمثَالِنَا المَسَاكِينِ؟ وَكَيفَ بِمَن تَرَكَ الحَقَّ وَالصَّوَابَ، وَخَالَفَ السُّنَّةَ وَالكِتَابَ، وَأَفنَى عُمُرَهُ فِي مَعصِيَةِ المَلِكِ الوَهَّابِ؟!

الذُّنُوبُ كَثِيرَةٌ، وَالآمَالُ عَرِيضَةٌ وَفِيرَةٌ، كَثُرَتِ الأَقوَالُ، وَقَلَّتِ الأَعمَالُ. وَاندَثَرَ جَمِيلُ الخِصَالِ، وَاضمَحَلَّ خَوفُنَا مِن ذِي الجَلَالِ.

نَسِينَا التَّوبَةَ فَلَم نَتُبْ وَكَأَنَّنَا مِنْ أَهلِ الجَنَّةِ، وَعَوَاتِقُنَا أَثقَلَتهَا عَظَائِمُ الذُّنُوبِ، وَغَفَلنَا عَن ذِكرِ المَوتِ وَالقَبرِ وَالقِيَامَةِ، وَلَم يَغفَلْ ﷺ.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبكِي وَنَحنُ نَضحَكُ، يَستَعِدُّ لِلمَوتِ وَالقَبرِ، وَمَا وَرَاءَ ذَلِكَ، وَنَحنُ لَا نَذكُرُ ذَلِكَ مُجَرَّدَ الذِّكرِ إِلَّا قَلِيلًا، يَستَغفِرُ فِي اليَومِ مِئَةَ

مَرَّةٍ، وَنَحنُ نَقضِي وَقتًا طَوِيلًا لِمُشَاهَدَةِ التِّلفَازِ، وَنَتَكَلَّمُ عَلَى الهَاتِفِ سَاعَاتٍ، وَلَا نَستَغفِرُ اللَّهَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ ﷻ.

وَلَقَد أَحسَنَ القَائِلُ:

عَلَى عَدَمِ البُكَاءِ أُخَيَّ فَابْكِ
فَمَا جَدْوَى الحَيَاةِ وَأَنتَ لَاهِ
وَمَا طَعْمُ الحَيَاةِ بِلَا أَنِينٍ
وَمَا الدُّنيَا بِلَا دَمعٍ وَآهِ

لَقَد حُقَّ لَنَا البُكَاءُ، وَلَكِن أَينَ هَذِهِ القُلُوبُ الَّتِي تَبكِي؟ أَينَ هِيَ؟! طَالَمَا شُغِلَتْ بِالغِنَاءِ وَمُشَاهَدَةِ الأَفلَامِ.

وَمَن كَانَ هَذَا حَالُهُ، لَحَرِيٌّ أَن تَجرِيَ دَائِمًا دُمُوعُهُ، وَحَقِيقٌ أَنْ يَقِلَّ فِي الدُّجَى هُجُوعُهُ.

وَلِلَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

طُوبَى لِمَنْ سَهِرتْ بِاللَّيلِ عَينَاهُ
وَبَاتَ فِي قَلَقٍ مِنْ حُبِّ مَولَاهُ
وَنَاحَ يَومًا عَلَى تَفرِيطِهِ
خوفًا لِمَا قَد جَنَى مِنْ خَطَايَاهُ

٢- عَن هَانِيءٍ مَوْلَى عُثْمَانَ قَالَ: كَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِذَا وَقَفَ عَلَى قَبْرٍ، بَكَى حَتَّى يَبُلَّ لِحْيَتَهُ، فَقِيلَ لَهُ: تُذْكَرُ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ فَلَا تَبْكِي، وَتَبْكِي مِنْ هَذَا؟! فَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ، فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ**». قَالَ: وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ، إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ!**»[١].

---

(١) رواه الترمذي (**٢٣٠٨**)، وحسنه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح سنن الترمذي» (**٢/ ٥٢٧**).

بَكَى عُثْمَانُ وَغيرُ عُثْمَانَ لِأَنَّـهُ الأَمـرُ الَّـذِي يُبكَى عَلَيهِ، وَيُصرَفُ الِاهتِمَامُ كُلُّهُ إِلَيهِ. وَهَـذَا هُوَ الَّذِي قَطَعَ قُلُوبَ الخَائِفِينَ، وَأَسَالَ عَبَرَاتِ التَّائِبينَ، وَأَسهَرَ لَيَالِيَ العَابِدِينَ. فَتَنَبَّهْ أَيُّهَا المِسكِينُ مِن رَقدَةِ الغَافِلِينَ!

٣- عَنِ ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يومَ دَفَنَ سَعدَ بنَ مُعَاذٍ، وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قَبرِهِ قَالَ: «**لَو نَجَا أَحَدٌ مِن فِتنَةِ القَبرِ؛ لَنَجَا سَعدُ بنُ مُعَاذٍ، وَلَقَد ضُمَّ ضَمَّةً، ثُمَّ رُخِيَ عَنهُ**»[1].

مَاذَا فَعَلنَا لِضَمَّةِ القَبرِ؟

هَل سَأَلنَا اللَّهَ الشَّهَادَةَ بِصِدقٍ؟

هَلِ اتَّقَينَا اللَّهَ فِي أَلسِنَتِنَا؟

---

(١) رواه الطبراني (**١٠٨٢٧**)، وصححه الألباني رحمه الله بمجموع طرقه وشواهده في «الصحيحة» (**١٦٩٥**).

هَل صَلَّينا بِخُشُوعٍ؟

هَلِ اجتَنَبنَا المُحَرَّمَاتِ؟

هَل سَعَينَا لِفِعلِ الوَاجِبَاتِ؟

فَلنَذكُرْ ضَمَّةَ القَبرِ فِي السُّجُودِ، فَنَزِيدَهُ تَسبِيحًا وَدُعَاءً وَتَضَرُّعًا وَابتِهَالًا[(١)].

٤- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟!**» فَكَأَنَّ ذَلِكَ ثَقُلَ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُمْ: «**قُولُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا**»[(٢)].

---

(١) «سعد بن معاذ» (ص٤٥)، للشيخ حسين العوايشة حفظه اللَّه.

(٢) رواه الترمذي (٢٤٣١)، وصححه الألباني رحمه الله في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٥٧٨).

كَيفَ يَطِيبُ لِي عَيشٌ، وَيَهدَأُ لِي بَالٌ، وَصَاحِبُ الْقَرْنِ - وَهُوَ إِسرَافِيلُ - قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ - وَهُوَ الصُّورُ -؛ وَأصغَى السَّمعَ، مَتَى يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ؟!

٥- عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تُحْشَرُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ؟! فَقَالَ: «**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**»[1].

٦- عَن سَودَةَ زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَت: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُبعَثُ النَّاسُ حُفَاةً عُرَاةً غُرلًا، يُلجِمُهُمُ العَرَقُ، وَيَبلُغُ شَحمَةَ الأُذُنِ**» قَالَت: قُلتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَاسَوءَتَاهُ! يَنظُرُ بَعضُنَا إِلَى بَعضٍ؟! قَالَ: «**شُغِلَ النَّاسُ عَن ذَلِكَ**» وَتَلَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿**يَوْمَ**

(١) رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ [عبس: ٣٤-٣٧][١].

حُفَاةً بِلَا نِعَالٍ، وَعُرَاةً بِلَا ثِيَابٍ، وَغُرلًا بِلَا خِتَانٍ. وَصَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«**الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يُهِمَّهُمْ ذَاكِ**».

إِنَّ الأَمرَ أَشَدُّ مِنْ أَن يَنظُرَ الرِّجَالُ إِلَى النِّسَاءِ، أَوِ النِّسَاءُ إِلَى الرِّجَالِ، إِنَّهُ أَعظَمُ مِنْ أَن تَسأَلَ الأُمُّ عَن وَلَدِهَا، وَالِابنُ عَن أَبِيهِ، هُنَاكَ قُلُوبٌ وَاجِفَةٌ، وَأَبصَارٌ خَاشِعَةٌ.

٧- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً (يَعنِي: سَمِعَ شَيئًا سَقَطَ)؛ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَدْرُونَ مَا هَذَا؟**» قَالَ:

---

(١) رواه الحاكم (٢/ ٥١٤ - ٥١٥ رقم ٣٨٩٨)، وحسنه لغيره الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٣٤٦٩).

قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «**هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا**»[١].

هَذَا قَعرُهَا - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَسَتُملأُ يومَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلقِ الَّذِينَ ضَيَّعُوا أَنفُسَهُم فِي هَذِهِ الدُّنيَا، وَضَيَّعُوا أَعمَارَهُم وَأَوقَاتَهُم، وَدَاهَمَهُمُ المَوتُ وَهُم عَلَى غَيرِ استِعدَادٍ، سَيَصِلُونَ إِلَى هَذِهِ النَّارِ، وَهُم سُكَّانُهَا - وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ - وَوَقُودُ النَّارِ وَحَطَبُهَا.

وَالإِنسَانُ كُلُّ إِنسَانٍ، فَهُوَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ؛ لِأَنَّهُ لَا يَدرِي: هَل يَكُونُ مِنَ النَّاجِينَ أَو مِنَ الهَالِكِينَ؟ فَكَيفَ يَطمَئِنُّ الإِنسَانُ وَيَأمَنُ عَلَى نَفسِهِ، وَهُوَ لَا يَدرِي: هَل يَنجُو أَو لَا يَنجُو؟ فَحَقُّهُ أَن لَا يَفتُرَ مِنَ البُكَاءِ، وَلَا يَستَقِرَّ بِهِ قَرَارٌ، وَأَن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٤٤).

يَكُونَ عَلَى حَذَرٍ، لِأَنَّهُ مُعَرَّضٌ لِهَذَا الخَطَرِ.

وَلَقَد أَحْسَنَ مَنْ قَالَ:

فَكَيفَ قَرَّتْ لِأَهلِ العِلمِ أَعينُهُم
أَوِ اسْتَلَذُّوا لَذِيذَ النَّومِ أَو هَجَعُوا
وَالمَوتُ جَهرًا عَلَانِيَةً يُنْذِرُهُم
لَو كَانَ لِلقَومِ أَسمَاعٌ لَقَد سَمِعُوا
وَالنَّارُ ضَاحِيَةٌ لَا بُدَّ مَورِدُهَا
وَلَيسَ يَدْرُونَ مَنْ يَنجُو وَمَنْ يَقَعُ

٨- عَن عَبدِ اللَّهِ - ابنِ مَسعُودٍ - رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُؤتَى بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبعُونَ أَلفَ زِمامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»(١).

وَالزِّمَامُ: مَا يُزَمُّ بِهِ الشَّيءُ؛ أَي: يُشَدُّ وَيُربَطُ،

(١) رواه مسلم (٢٨٤٢).

وَهَـذِهِ الأَزِمَّـةُ الَّتِي تُسَاقُ جَهَنَّمُ بِهَا تَمنَعُ مِن خُرُوجِهَا عَلَى أَهلِ المَحشَرِ، فَلَا يَخرُجُ مِنْهَا إِلَّا الأَعنَاقُ الَّتِي أُمِرَتْ بِأَخذِ مَن شَاءَ اللَّهُ أَخذَهُ.

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى عَظَمَةِ هَذِهِ النَّارِ. نَسأَلُ اللَّهَ أَن يُعِيذَنَا وَالمُسلِمِينَ مِنْهَا، وَمِن هَولِ ذَلِكَ اليَومِ. فَهَذَا العَدَدُ الكَبِيرُ مِنَ المَلَائِكَةِ، يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الأَمرَ عَظِيمٌ وَالخَطَرَ جَسِيمٌ.

فَإِذَا سَمِعْتَ أَيُّهَا الرَّجُلُ هَذَا الحَدِيثَ، العَظِيمَ نَبَؤُهُ، الكَبِيرَ خَطَرُهُ، الأَلِيمَ أَثَرُهُ، الَّذِي تَطِيرُ لَهُ القُلُوبُ، وَتَحِيرُ لَهُ العُقُولُ، وَتَجْزَعُ مِنْ هَوْلِهِ النُّفُوسُ، فَاعْتَصِمْ بِمَولَاكَ إِلَهِ العَالَمِينَ، وَالْزَمِ البَابَ بِالتَّضَرُّعِ وَالِابْتِهَالِ وَالبُكَاءِ، آنَاءَ اللَّيلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ مَعَ المُتَضَرِّعِينَ المُبْتَهِلِينَ، فَإِنَّهُ لَا نَجَاةَ مِنَ النَّارِ إِلَّا بِرَحمَةِ اللَّهِ.

٩- عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فَقَالَ: «**أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ، أَنْذَرْتُكُمُ النَّارَ**» فَمَا زَالَ يَقُولُهَا، حَتَّى لَوْ كَانَ فِي مَقَامِي هَذَا لَسَمِعَهُ أَهْلُ السُّوقِ، وَحَتَّى سَقَطَتْ خَمِيصَةٌ كَانَتْ عَلَيْهِ عِنْدَ رِجْلَيهِ[(١)].

١٠- عَن أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**نَارُكُم جُزءٌ مِن سَبعِينَ جُزءًا مِن نَارِ جَهَنَّمَ**» قِيلَ: يا رَسُولَ اللَّهِ، إِن كَانَت لَكَافِيَةً؟! قَالَ: «**فُضِّلَتْ عَلَيهِنَّ بِتِسعَةٍ وَسِتِّينَ جُزءًا، كُلُّهُنَّ مِثلُ حَرِّهَا**»[(٢)].

يَعنِي: أَنَّهُ لَو جُمِعَ كُلُّ مَا فِي الوُجُودِ مِنَ النَّارِ الَّتِي يُوقِدُهَا بَنُو آدَمَ، لكَانَت جُزءًا مِن أَجزَاءِ جَهَنَّمَ المَذكُورَةِ، وَبَيَانُهُ: أَنَّهُ لَو جُمِعَ حَطَبُ الدُّنيَا، فَوُقِدَ

(١) رواه الدارمي (٢٨١٢)، وصححه الألباني رحمه الله في التعليق على «هداية الرواة» (٥/ ٢٣١).
(٢) رواه البخاري (٣٢٦٥)، ومسلم (٢٨٤٣).

كُلُّهُ حَتَّى صَارَ نَارًا؛ لَكَانَ الجُزءُ الوَاحِدُ مِنْ أَجزَاءِ نَارِ جَهَنَّمَ، أَشَدَّ مِن حَرِّ نَارِ الدُّنيَا.

فَإِذَا كُنتَ يَا عَاصِيًا! عَلَى النَّارِ لَا تَقوَى، فَبَادِرْ إِلَى التَّوبَةِ، وَنُحْ أَسَفًا مِنْ أَجلِ ذَنبِكَ دَائِمًا، فَمَا فِي غَدٍ يُغنِي نَوَاحًا وَشَكوَى.

١١- عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَو كَانَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ مِئَةُ [أَلْفٍ] أَوْ يَزِيدُونَ، وَفِيهِ رَجُلٌ مِنْ [أَهْلِ] النَّارِ، فَتَنَفَّسَ فَأَصَابَ نَفَسُهُ، لَاحْتَرَقَ الْمَسْجِدُ وَمَنْ فِيهِ**»[1].

نَسأَلُ اللَّهَ الحَيَّ القَيُّومَ، ذَا الجَلَالِ وَالإِكرَامِ: أَن يُجِيرَنَا وَإِيَّاكُم مِنَ النَّارِ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ وَجُودِهِ وَإِحسَانِهِ. إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ.

---

(١) رواه البزار «البحر الزخار» (**٩٦٢٣**)، وأبو يعلى (**٦٦٧٠**) - واللفظ له -. وصححه الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (**٢٥٠٩**).

٤- قِرَاءَةُ القُرآنِ بالتَّدَبُّرِ:

عَن عَبدِ اللَّهِ - ابنِ مَسعُودٍ - رَضِيَ اللهُ عَنهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقرَأْ عَلَيَّ**» قُلتُ: آقرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنزِلَ؟! قَالَ: «**فَإِنِّي أُحِبُّ أَن أَسمَعَهُ مِن غَيرِي**»؛ فَقَرَأتُ عَلَيهِ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى بَلَغتُ: ﴿ **فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا** ﴿٤١﴾ ﴾ [النساء]، قَالَ: «**أَمسِكْ**»، فَإِذَا عَينَاهُ تَذرِفَانِ[1].

وَإِنَّمَا بَكَى ﷺ عِندَ هَذَا، لِأَنَّهُ مَثَّلَ لِنَفسِهِ أَهْوَالَ يَوم القِيَامَةِ الرَّهِيبَةَ العَظِيمَةَ، وَشِدَّةَ الحَالِ الدَّاعِيَةَ لَهُ إِلَى شَهَادَتِهِ لِأُمَّتِهِ بِتَصدِيقِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ، وَسُؤَالَهُ الشَّفَاعَةَ لَهُم لِيُرِيحَهُم مِن طُولِ المَوقِفِ وَأَهْوَالِهِ، وَهَذَا أَمرٌ يَحِقُّ لَهُ طُولُ البُكَاءِ وَالحُزنُ.

عِبَادَ اللَّهِ: إِنَّ كِتَابَ اللَّهِ يُتلَى بَينَ أَظهُرِنَا

---

(١) رواه البخاري (٤٥٨٢)، ومسلم (٨٠٠).

وَيُسمَعُ. وَهُوَ القُرآنُ الَّذِي لَو أُنزِلَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيتَهُ خَاشِعًا يَتَصَدَّعُ. وَمَعَ هَذَا، فَلَا قَلبٌ يَخشَعُ! وَلَا عَينٌ تَدمَعُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١].

فَهَذِهِ حَالُ الجِبَالِ وَهِيَ الحِجَارَةُ الصَّلبَةُ، وَهَذِهِ رِقَّتُهَا وَخَشيَتُهَا، وَتَدَكدُكُهَا مِن جَلَالِ رَبِّهَا وَعَظَمَتِهِ وَخَشيَتِهِ.

فَيَا عَجَبًا مِن مُضغَةِ لَحمٍ، كَانَت أَقسَى مِن هَذِهِ الجِبَالِ! تُخَوَّفُ مِن سَطوَةِ الجَبَّارِ وَبَطشِهِ، فَلَا تَرعَوِي وَلَا تَرتَدِعُ، وَتَسمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتلَى عَلَيهَا، وَيُذكَرُ الرَّبُّ، فَلَا تَلِينُ وَلَا تَخشَعُ وَلَا تُنِيبُ.

فَمَن لَم يُلِنْ لِلَّهِ فِي هَذِهِ الدَّارِ قَلبَهُ، وَلَم يُنِبْ إِلَيهِ، وَلَم يُذِبْهُ بِحُبِّهِ وَالبُكَاءِ مِن خَشيَتِهِ؛ فَلْيَتَمَتَّعْ

قَلِيلًا، فَإِنَّ أَمَامَهُ المُلَيِّنَ الأَعظَمَ، وَسَيُرَدُّ إِلَى عَالِمِ الغَيبِ وَالشَّهَادَةِ فَيَرَى وَيَعلَمُ!

٥- التَّبَاكِي:

اعلَمْ أَنَّ التَّبَاكِيَ دُونَ البُكَاءِ فِي المَنزِلَةِ وَالمَرتبَةِ، وَلَكِنَّهُ سَبِيلُ البُكَاءِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ المُتبَاكِيَ مِمَّن يُجَاهِدُ نَفسَهُ وَيُحَاسِبُهَا، وَمِمَّن يَسْعَونَ لِتَحقِيقِ مَرضَاةِ اللَّهِ ﷻ، وَاللَّهُ سُبحَانَهُ يَقُولُ: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

عَنِ ابنِ أَبِي مُلَيكَةَ قَالَ: جَلَسنَا إِلَى عَبدِ اللَّهِ ابنِ عَمرٍو فِي الحِجرِ، فَقَالَ: ابْكُوا ، فَإِنْ لَم تَجِدُوا بُكَاءً فَتَبَاكَوْا؛ لَو تَعلَمُونَ العِلمَ، لَصَلَّى أَحَدُكُم حَتَّى يَنكَسِرَ ظَهرُهُ، وَلَبَكَى حَتَّى يَنقَطِعَ صَوتُهُ[1].

(١) رواه الحاكم (٤/ ٥٧٨ - ٥٧٩ رقم ٨٧٢٣)، وصححه موقوفًا الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٣٢٨).

قَالَ ابنُ القَيِّم رَحِمَهُ اللهُ - بَعدَ ذِكرِهِ أَنوَاعَ البُكَاءِ -: «وَمَا كَانَ مِنْهُ مُسْتَدْعًى مُتَكَلَّفًا، فَهُوَ التَّبَاكِي، وَهُوَ نَوْعَانِ: مَحْمُودٌ وَمَذْمُومٌ؛ فَالْمَحْمُودُ: أَنْ يُسْتَجْلَبَ لِرِقَّةِ الْقَلْبِ، وَلِخَشْيَةِ اللَّهِ، لَا لِلرِّيَاءِ وَالسُّمْعَةِ، وَالْـمَذْمُومُ: أَنْ يُجْتَلَبَ لِأَجْلِ الْخَلْقِ. وَقَدْ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ [رَضِيَ اللهُ عَنْهُ] لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَقَدْ رَآهُ يَبْكِي هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي شَأْنِ أَسَارَى بَدْرٍ: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ؟! فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَائِكُمَا»[(١)]. وَلَم يُنكِرْ عَلَيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»[(٢)].

أَخِي الحَبِيبَ: هَل ضَمِنتَ النَّجَاةَ وَالجَنَّةَ، فَابكِ الدُّمُوعَ الآنَ، بُكَاءً تُؤجَرُ عَلَيهِ فِي دُنيَاكَ؛ قَبلَ أَن

(١) رواه مسلم (١٧٦٣).
(٢) «زاد المعاد» (١/ ١٨٥).

تَبكِيَ بُكَاءً لَا أَجرَ لَكَ فِيهِ، وَلَا ثَوَابَ فِي أُخرَاكَ؟!

عَنْ أَبِي رَزِينٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا ﴾ [التوبة: ٨٢]؛ قَالَ: يَقُولُ اللَّهُ: الدُّنْيَا قَلِيلٌ، فَلْيَضْحَكُوا فِيهَا مَا شَاؤُوا؛ فَإِذَا صَارُوا إِلَى الآخِرَةِ، بَكَوْا بُكَاءً لَا يَنْقَطِعُ، فَذَلِكَ الْكَثِيرُ[(١)].

فَإِن لَم تَبكِ أَو تَتَبَاكَ؛ فَإِيمَانُكَ ضَعِيفٌ، وَالدُّنيَا قَد أَخَذَتْ مَأخَذَهَا مِنكَ، وَأَنتَ عَلَى خَطَرٍ عَظِيمٍ، فَفِرَّ إِلَى اللَّهِ، وَاغتَنِمِ الحَيَاةَ قَبلَ المَمَاتِ، وَسَارِعْ إِلَى التَّوبَةِ النَّصُوحِ، وَالإِنَابَةِ الصَّادِقَةِ، وَالأَعمَالِ الصَّالِحَةِ.

* * *

(١) أخرجه ابن أبي شيبة (١٣/ ٤١٨)، وابن جرير (١٠/ ٢٠٢ و٢٠٣) بسند صحيح.



أَسبَابُ عدَمِ البُكَاءِ مِن خَشيَةِ اللَّهِ

الدُّمُوعُ مِنْ أَجلِ اللَّهِ تَعَالَى، أَروَعُ نِعمَةٍ يَمُنُّ بِهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ، وَالمَحرُومُ مَن قَحطَتْ عَينُهُ، وَلَم تَتَنَدَّ بِالدَّمعِ، فَذَلِكَ عَلامَةٌ عَلَى قَسوَةِ القَلبِ وَالعِيَاذُ بِاللَّهِ. وَمَا ضُرِبَ عَبدٌ بِعُقُوبَةٍ أَعظَمَ مِن قَسوَةِ القَلبِ وَالبُعدِ عَنِ اللَّهِ. خُلِقَتِ النَّارُ لإِذَابَةِ القُلُوبِ القَاسِيَةِ. أَبعَدُ القُلُوبِ مِنَ اللَّهِ القَلبُ القَاسِي.

وَعِلَاجُ قَسوَةِ القَلبِ كَثرَةُ ذِكرِ اللَّهِ ﷻ. فَيَنبَغِي لِلعَبدِ أَنْ يُدَاوِيَ قَسوَةَ قَلبِهِ بِذِكرِ اللَّهِ تَعَالَى.

فَمَا أُذِيبَتْ قَسوَةُ القُلُوبِ بِمِثلِ ذِكرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

قَالَ اللَّهُ تَعالَى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ [الحديد]، فَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ قَدِرَ عَلَى إِحيَاءِ الأَرضِ بَعدَ مَوتِهَا بِوَابِلِ القَطْرِ، فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِحيَاءِ القُلُوبِ المَيتَةِ القَاسِيَةِ بِالذِّكرِ.

عَسَى مَنْ أَحيَى الأَرضَ المَيتَةَ بِالقَطرِ، أَنْ يُحيِيَ القُلُوبَ المَيتَةَ بِالذِّكرِ[1].

وَللَّهِ دَرُّ القَائِلِ:

وَالذِّكْرُ فِيهِ حَيَاةُ القُلُوبِ كَمَا
يُحْيِي البِلَادَ إِذَا مَا ماتَتِ المَطَرُ

(١) «لطائف المعارف» (ص٥٤٤).



الخَاتِمَةُ

وَفِي الخِتَامِ: هَلَّا بَكَينَا لِقَسوَةِ قُلُوبِنَا؟!

هَلَّا بَكَيْنَا لِلَّهِ لَعَلَّ اللَّهَ يَرحَمُنَا؟!

هَلَّا بَكَيْنَا خَوفًا مِنَ النَّارِ؟!

هَلَّا بَكَيْنَا خَوفًا مِن سُوءِ الخَاتِمَةِ؟!

وَنَسأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَن يَجعَلَ قُلُوبَنَا وَجِلَةً لَيِّنَةً رَقِيقَةً، وَأَعيُنَنَا دَامِعَةً مِن خَشيَتِهِ.

عَن أَبِي عِنَبَةَ الخَولَانِيِّ رضي الله عنه: يَرفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ لِلَّهِ آنِيَةً مِن أَهلِ الأَرضِ، وَآنِيَةُ**



رَبِّكُم قُلُوبُ عِبَادِهِ الصَّالِحِينَ، وَأَحَبُّهَا إِلَيهِ أَلْيَنُهَا وَأَرَقُّهَا»[(١)].

هَذَا مَا تَيَسَّرَ جَمعُهُ حَولَ هَذِهِ الخَصلَةِ الجَلِيلَةِ القَدرِ، العَظِيمَةِ الشَّأنِ. وَآخِرُ دَعوَانَا أَنِ الحَمدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ.

❊ ❊ ❊

(١) أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» (٨٤٠)، وقوّى إسنادَه العلَّامةُ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (١٦٩١).